2025

رسالة عيد الميلاد

في يسوع المسيح الفقير، المصلوب والمأكول

Prado

لقاء يسوع في جماعة من الفقراء

"فأسرعوا ووجدوا مريم ويوسف
مع المولود الجديد ممددًا في المذود" (لوقا 2: 16)

بمناسبة الاحتفال بسر عيد الميلاد، أقترح عليكم التأمل في هذا الآية من الإنجيل التي تروي لنا كيف أن مجموعة من الرعاة، وهم أشخاص مهمشون وذوو أخلاق مشكوك فيها، التقوا بمجتمع صغير من الفقراء الذي سيغير حياتهم إلى الأبد. أدعوكم أيضًا إلى النظر إلى عائلتنا البرادوزية في مختلف مؤسساتها ومجتمعاتها وفرقها. نحن مدعوون اليوم لأن نكون مثل هذه الجماعة التي اجتمعت في الحظيرة، وأبوابها مفتوحة "على أربعة اتجاهات"، لاستقبال الفقراء الذين يضعهم الله في طريقنا وبناء الملكوت معهم.

تتكون هذه الجماعة الصغيرة من الفقراء من يسوع ومريم ويوسف ومجموعة صغيرة غير محددة من الأشخاص الذين، وفقًا للرواية الإنجيلية، كانوا يتعجبون مما يقوله الرعاة. لوقا هو راوي يسعى إلى التفاعل مع القارئ، ولهذا السبب على الأرجح يضع بجانب العائلة المقدسة هؤلاء الوافدين الجدد الذين لا نعرف سوى وجودهم. يمكن لكل واحد منا أن يكون أحد أولئك الذين يقفون في الحظيرة أمام يسوع، الكلمة المتجسد، كجزء من هذه الجماعة الأولى. كان الأب شيفرييه أيضًا يرغب في شغل أحد هذه الأماكن المشرفة في الحظيرة. بعد الاحتفال بعيد الغطاس في كابيلا سيكستين، يخبرنا بما كان يرغب فيه قلبه حقًا: *«كنت أفضل أن أرى مذود يسوع الطيب وأن أكون راعياً، لأحظى بسعادة التواجد في حظيرة المخلص* الطيب» (الرسالة 15).

تجتمع هذه الجماعة الصغيرة من الفقراء حول يسوع. إنه المركز والسبب الذي جمع هذه الأخوّة في الحظيرة. يسوع هو نوع من المغناطيس الذي يجذب الجميع. إن هشاشة طفل صغير معتمد على الآخرين، فقير بشكل جذري و"وجودي"، على حد تعبير الأب أنسل، تجذب حضور فقراء آخرين يكتشفون فيه ثروات الكلمة المتجسد من الآب: حبه الهائل واللا رجعة فيه للبشرية. *"يا له من سر لا يوصف! الله معنا، الله جاء ليتكلم معنا، جاء ليعيش معنا ليتكلم معنا ويعلمنا"* (VD 62). هذه هي المهمة الأولى للفريق، للجماعة البرادوزية: السماح ليسوع المسيح بأن يحتل مركز حياتنا حتى يتمكن الفقراء الذين يرسلهم الرب إلينا من اكتشافه فينا أيضًا.

هذه الجماعة الصغيرة من الفقراء تزداد ثراءً بأعضاء آخرين اختارهم الآب وأرسلهم. يذهب الرعاة إلى الحظيرة لأن الله، بواسطة ملاكه، كشف لهم الحدث الذي وقع. طاعةً للكلمة، تركوا قطعانهم في الحقول وهرعوا إلى بيت لحم. لم يأخذوا زمام المبادرة، بل استمعوا فقط وأطاعوا ما قيل لهم. تتحقق فيهم الكلمة التي سيعلنها يسوع في كفرناحوم: *«لا يقدر أحد أن يأتي إليّ إلا إذا اجتذبه الآب الذي* أرسلني» (يو 6: 44). يواصل الآب إرسال

الفقراء إلى مجتمعات كنيسته، ومن بينها برادو. يضع الفقراء بالقرب منا لكي نريهم ابنه. الجميع يعرفون من هم هؤلاء الأشخاص الذين يعيشون في ظروف غير مستقرة. في مدينة ليون، تزداد كل يوم حضوراً المهاجرين الذين يعيشون الحد الأدنى من الكرامة في خيام. على بعد أقل من مائتي متر من كنيسة برادو، يوجد اثنان من مخيمات الفقراء هذه. نجدهم في كل قرية ومدينة، لأن الفقراء سيظلون دائمًا بيننا. تشجع جماعة بيت لحم برادو بأكملها على ألا نحول أنظارنا عن الفقراء وأن نكتشف أن الله نفسه هو الذي يجلبهم إلى كنيستنا.

تعيش هذه الجماعة الصغيرة من الفقراء فقراً روحياً وتواضعاً يدفعها إلى الاعتراف بحضور كلمة الله وعبادتها في صمت. لا ينقل لنا سفر لوقا أي كلمات من الأشخاص الذين اجتمعوا في الحظيرة. أمام كلمة الآب المتجسدة النهائية، أي كلمة أخرى زائدة عن الحاجة وتسبب إزعاجاً. أمام السر الذي يظهر أمام أعينهم، لا يمكن إلا الصمت العابد. كانت هذه هي التجربة التي غيرت حياة الأب شفرييه. التأمل الصامت في الكلمة المتجسد دفعه إلى السماح له بالتجسد في حياته والوقوف بين الفقراء لبناء معهم عائلة يسوع الجديدة: "*إله يصبح طفلاً. الله، بدافع الحب، يجعل نفسه قابلاً للعيش. إنه ملكنا. إنه مهدى لنا. إنه يأتي ليشكل شعباً جديداً من العباد الحقيقيين، من الإخوة*" (عظة عيد الميلاد 1857).

تجتمع هذه الجماعة الصغيرة في حظيرة وليس في نزل المدينة. اختار الآب هذا المكان لميلاد ابنه. وُلد الفقير في ظروف من الفقر، ويشاركه من حوله هذه الظروف. المكان الذي تجتمع فيه الجماعة، والوسائل المتاحة لها، يمكن أن يتحدثا عن الفقر الذي نحن مدعوون إلى عيشه ويسهلان استقبال الفقراء الذين يأتون: «*علينا أن نحمل روح الفقر والبساطة هذه وأن نكتفي بالضروريات حتى في كنائسنا وأدوات العبادة. لا يجب أن يكون في كنائسنا وزخارفنا ما يثير فضول أو غيرة المؤمنين. [...] ضع كاهنًا قديسًا في كنيسة خشبية مفتوحة على كل الرياح، وسوف يجذب ويحول إلى كنيسته الخشبية أكثر من كاهن آخر في كنيسة ذهبية*" (VD 297). يؤكد البابا ليون الرابع عشر على هذه الفكرة، مستشهداً بالقديس يوحنا الذهبي الفم، في رسالته الرسولية الأخيرة: "*الله لا يحتاج إلى أشياء من ذهب، بل إلى أرواح من ذهب*" (Dilexi Te، 41).

تترك هذه الجماعة الصغيرة الفقيرة نفسها تتعلم من الفقراء الذين يأتون إليها. يرتجف الرعاة عند دخولهم الحظيرة ويجدون في وسطها يسوع، والأشخاص مجتمعين في وضع العبادة، وظروف الفقر التي ليست غريبة عليهم. يشعرون بأنهم في وطنهم، ولهذا السبب، وبكل ثقة، هم الذين يتكلمون. تجربتهم تؤكد ما قاله لهم الملاك عن الطفل، ويشعرون بالحاجة إلى إخبار الآخرين. هم الذين يبشرون أولئك الذين يستقبلونهم. كلماتهم تثير إعجاب جميع الذين يستمعون إليهم، ولا سيما مريم، التي كانت قادرة على الاستماع بقلبها. كم هو مهم اليوم أن نستمع بكلمات الفقراء بإعجاب وترحيب! الفقراء يتحدثون إلينا عن يسوع بحياتهم، ونجد فيهم الإنجيل المُعاش. إنهم شهود ومعلّمو الإيمان بالنسبة لنا: "*لحن شهود على قدرتهم على تحمّل المسؤوليات في العالم والكنيسة. معًا، نغذي رجاءنا بعلامات الروح التي نلمسها في حياتهم. هذا هو الإنجيل الذي نريد أن نشاركهم إياه*" (الدساتير 44).

أصدقائي، عائلتنا البرادوزية مدعوة اليوم لأن تكون مثل هذه الأخوة المجتمعة في الحظيرة. نحن على وشك بدء الاحتفال بالذكرى المئوية الثانية لميلاد الأب شفرييه، وللاحتفال بها بنفس الروح الإنجيلية التي كان عليها رسول غيوتيير، علينا أن نجدد الموهبة التي تلقيناها ونفتح قلوبنا وأبواب بيوتنا ليسوع الذي يأتي إلينا في حياة الفقراء. ليمنحنا الرب أن نكون قناة لنعمته حتى يتمكن الفقراء والمتألمون بيننا من أن يعيشوا نفس التجربة الإنسانية والإيمانية التي عاشها الرعاة في تلك الجماعة الصغيرة والفقيرة في بيت لحم.

ليون، 2025/12/01

دييغو مارتين بينياس (المسؤول العام)،

لوك لالير (المساعد[الأول]) و جوزيف نيكيما (المساعد[الثاني])

برادو العام
معهد كهنة برادو
13، شارع بير شيفرييه - 69007 ليون - فرنسا
هاتف: (+33) 04 78 72 70 66 - www.leprado.org